المشرق

السنة الواحدة والخمسون — تموز — ت١ ١٩٥٧

رسالة في حدوث الزلازل وعلتها

للراهب اغابيوس الحنّاوي

نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

السنة خلت والعلماء يبحثون يدرس اسباب الزلازل ويطلعون عليها الرأي العام . فقد كثرت الزلازل في السنة الماضية واضطرب لها القاصي والداني وترحت الجماهير الغفيرة تاركة بيوتها خراباً وثروتها جزافاً الى اماكن تجد فيها السلم والطمأنينة . ولهذا رأينا ان ننشر الرسالة التالية وقد اخذناها من خزانة مخطوطات مكتبتنا الشرقية تحت الرقم ٢١٧. وكان قد ذكرها الاب لويس شيخو في ثبته للمخطوطات ص ١٣١ .

كان مفتي دمشق الشام قد طلب الى صديق له مسيحي ان يطلعه على اسباب زلزلة الارض وما كان من هذا الصديق الا ان توجه الى راهب قانوني

من رهبان القديس يوحنا الصابغ في الشوير راغباً اليه في ان ينبئه عن الجواب على السؤال المطروح . وهـا هو الجواب كتب في اوائل القرن التاسع عشر بيد راهب اسمه اغابيوس. وما اكثر ما كان الرهبان ولا يزالون يبالغون في جمل هذه الاسماء والتعرف بها دون ذكر الكنية . وهذا ما لم يسمح لنا بالوصول الى معرفة هذا الراهب المؤلف .

وهذه الرسالة على ما فيها من اقتضاب تدل على ما لمؤلفها من قسط واسع في علوم الارض وطبقاتها ، ننشرها بالحرف الواحد للدرس والتفكهة معاً. طولها ١٩ سم وعرضها ١٢ سم . كتبت بالخط النسخي وبالحبر الاسود على ٤ صفحة وفي كل صفحة منها ٢٠ سطراً .

بسم الله الخالق الحي الناطق فعليه توكلت واليه انيب .

الحمد لله الواجب الوجود الرب المعبود علة العلل والطبايع ومنشي الاكوان والصنايع باري السماوات ومكللها ومثبّت الارض ومزلزلها . حمداً وشكراً على ما انعم .

وبعد فاذ كان لا بد لكل قول الى بيان وشرح وتبيان لقبول العقل النطقي فيحتاج اذاً الامر بنا الى بسط مقدمة يُفهم منهـا تلخيص القضايا بحسبما تقتضيه الفطنة البشرية فنقول ان اثبات الشي يكون بنوعين اما اثباتاً انياً او لمياً فالاثبات الإني هو اذا ما اثبتنا الشي من قبل معلولاته كما اذا اثبتنا وجود الشمس من قبل وجود النهـار ووجود الخالق من قبل وجود مخلوقاته . وأما النوع اللمي هو اذا اثبتنا الشي من قبل علته وسببه كما اذا اثبتنا وجود النهار وضيا العالم من قبل وجود الشمس ووجود الدخان والحرارة من حيث وجود النار لانها علتان لها . فالقياس اللمي هو اقوى برهاناً لانـ

يوضح وجود الشي ويورد علة وجوده . امـا القياس الاول فلا دخل له بالطبيعيات لانه يثبت وجود العلة الاولى تبارك وتعالى الذي هو علة العلل ولا علة له .

فاذ قد اوردنا هذا فلنوضح جواباً مختصراً عن اعتراض مقدر يمكن سواله في شان حدوث الزلازل وعلتها واسبابها وكيفية صدورها .

فنقول ان للزلازل وغيرها علتين علة الهية وعلة طبيعية . فمن حيث انه لمن المستحيل ان تتحرك ورقة ما من اوراق الاشجار الا برسم العناية الالهية فلهذا يسمح الله تعالى بحدوث الزلازل لاسباب عدة تخص تهذيب الاخلاق وتلاحظ الاداب المختصة بالنفس الانسانية التي هي جزء الانسان الاعلى ذو العقل الناطق وهذا الامر يوضحه مما جاء من قوله تعالى في كتاب الزبور مخاطباً جماعة الناس ذوي القلوب القاسية والمتسلطين اصحاب الحكم الجايرين والغير الرحومين قايلاً لهم الى متى تقضون بالظلم وتاخذون بالوجوه . احكموا للمسكين والفقير انقذوا اليتيم والبايس وخلصوهما من يد القاسي ثم انه تعـالى يورد سوء فعلهم . لم يعلموا ولم يفهموا انهم في الظلمة يسلكون فلهذا تتزلزل كل اساسات الارض .

ولعمري ان هذا الانتقام الخاص ليس هو الا من عدم الرحمة والشفقـة وسلب حقوق الناس بالربا وقطع اجرة الفعلة المساكين . والنتيجة ظلم الناس بعضها بعضاً باي نوع كان . فهذا عينه تحرك الله تعالى للانتقام . على انـه بالازمان القديمة كان الله عز وجل يقاصر بني آدم بنوع يلايم ما اثموا لانه في زمان نوح عليه السلام لما احترقت قلوب البشر بالشهوة اللحمية الحيوانية النافية حال حيوة الانسان الروحية امطر الله تعالى عليهم مياهاً غزيرة ليطفي تلك الحرارة الغريبة المهلكة واهلك جميعهم ما عدا نوحاً وآله .

وفي عهد لوط عليه السلام اذ بردت قلوب اناس تلك المدن الخمس من محبته تعالى وسلكوا بما اثم اللواط امطر عليهم ناراً وكبريتاً واهلك جميعهم ولم يسلم

غير لوط وبنيه . وهكذا كان يقاصر الباري تعالى افراد البشر بنوع اوزارهم فالذي كان ذو كبرياء يهلكه بنوع مهين والذي يكون محبا الفضة بمقام رب معبود يسمح تعالى بضياع امواله او بفقد بنيه واملاكه والذي كان يتدنس بأقبح المحارم كان بيته جل وعلا افظع الميتات والذي كان يقسم باسم الله تعالى باطلًا ويحنث على قريبه ويعطي فضته بالربا والغش فكان ذلك لا ينجح الى الدهر ويليه باريه ببلاوي متعددة وهذا المعنى مفهوم لدى كل ذي عقل نطقي.

فلما كانت القساوة وعدم الرحمة وظلم الفقرا والمساكين والجور عليهم اما باكل وسلب حقوقهم او بقطع اجرتهم او بسلب اموالهم بالربا والغش فهذا (فهذه) الشؤون وما ماثلها كانت ترجف القلوب وتزعزع اساسات الالباب فلاجل هذا تتزلزل كل اساسات الارض وهذا هو نوع من سخط الله تعالى لانه يقول وهو اعز القايلين في الزبور الشريف : تزلزلت الارض وصارت مرتعدة. اضطربت اساسات الجبال وتزلزلت لان الله سخط عليهم (ومن المفهوم ان لامّ لان هي لام التعليل) فاذًا علة سخط الله تعالى علي البشر بحدوث الزلازل هو من عدم الرحمة والطمع بسلب مال الناس بعضهم من بعض .

فلهذا سبق القول ان العلة الاولى والسبب الاخص بصدور الزلازل هو منه تعالى علة العلل ومع هذا فلا بد من وجود علل طبيعية موثرة من الحركات الفلكية كما يتوضح ذلك بعون الله تعالى . غير انه تبارك اسماؤه قد يطلق العنان للطبايع ان تعبز مفاعيلها ولا يقهرها ويمتقلها عن صدور كمال تاثيرها وذلك لعمار الكون لانه تعالى بتدبيره الغير المفحوص خلق الدنيا وزينها بالفصول الاربعة والعناصر الاربعة وبتدابيره الخفية وبرسم عنايته الازلية ما زال يعد الناس بالميلاد والحيوة ويقتصر عليهم بالبلايا والموت بالمرض والصحة بالفقر والغنى وما يشاكل ذلك .

فهذا كله عناية منه ورحمةً وتفضلًا واحسانًا لخلقه فلما كانت عقول الناس غير مستقيمة من حيث اذ ارسل لينادي بمدينة نينوى التي هي الموصل

وان لم ترتجع اهلها عن فعل المحارم يخسف الله تعالى بهم مدينتهم . ولما رجعوا اليه تعالى بالصوم والصلوة والصدقة وتابوا اليه تعالى صفح عنهم وعاملهم بلطفه الخفي .

فهذه هي العلة الاولى لحدوث الزلازل من حيث انتقام عدل الله تعالى للبشر وعدم مسكه فعل الطبيعة لكي يرجعوا اليه من كل قلوبهم لانه تعالى قادر كما يقول ارسطوتاليس مع اية الفلاسفة ان يسد بقدرته مسدّ كل فعل طبيعي كما فعلت قدرته في اتون بابل في عصر مجتنصر اذ امتنع احراق النار عن الثلثة فتيه بنوع غريب وعجيب .

فلنتكلم مُذ الآن عن علة الزلازل الطبيعية المسببة من التأثيرات الفلكية والحركات الكوكبية وتصاعد الابخرة الارضية فنقول انه لقد نظر العلما بعضهم نظرات وهمية بهذا المعنى فقال قوم منهم ان الارض ذو نفس حية تتحرك بجر اثقالها وهذا القول باطل لان الارض عنصر ترابي ثابت غير متنقل ولحظ قوم منهم ان الارض تتحرك بحركة الافلاك وهذا ايضاً قول غير ثابت لاننا نعلم ان الارض كرية الشكل ثابتة بقدرته تعالى علي المياه وقد اختلف قوم ناتجين مما تقدم ان الارض تتحرك بحركة المياه وهذا ايضاً قول فاسد لانه لو كان ذلك كذلك لكانت حركة الارض غير بطالة بل لكانت متحركة دايماً مع حركة المياه والبحر الطبيعية والحال انها ثابتة علي ما رتب الله عز وجل باريها .

فيكون اذا الاعتبار بسبب حدوث الزلازل بعلةٍ خارجية صادرة عن العلة الاولي منشي الطبايع ومكونها هذا اولاً وثانياً الراي الاصح المورد من العلما الفلكيين والطبيعيين لعلة الزلزلة الثانية الطبيعية هذا هو . وهو ان اكثر ما تحدث الزلزلة هي في زمان الخريف وتتقدم الي اول فصل الشتا . وذلك من قبل حرارة شمس الصيف الشديدة فتحتقن في قلب الارض تلك الابخرة الموفرة من فصل الشتا لا سيما من الامطار اذا كانت غزيرة ثم تعفن في فصل الربيع الحار

الرطب معدن المعدنات ولهذا كانت الامراض الدموية في فصل الربيع اوفر. فاذ يأتي فصل الصيف الحار اليابس تحتقن هذه الابخرة في سطح الارض لانه يكون متلززًا بسبب القيظ الحادث مع ان قلب الارض يكون حينيذ باردًا ولهذا مياه الابار والعيون في فصل الصيف يكون باردًا وفي فصل الشتاء البارد اليابس بالعكس بما انها بالشتا تستقر الابخرة في قلب الارض وتتلزز الارض من قبل يبس الطبع الكائن فتكمن الابخرة داخل قلب الارض فيصير الماء حارًا بالشتاء وبالصيف باردًا كما بيان ذلك بالامتحان من كل واحد من الناس . فاذ يأتي فصل الخريف البارد الرطب الحادث فيه الامراض البلغمية تتخلخل الارض وتتفرق اجزا سطحها وتميل الشمس عن القطب القبلي فتبتدى حالًا الحرارة بان تجتذب تلك الابخرة وتتصاعد بها باجتذاب قوي من الارض فتحدث وقتيذ رجة وغلايان في الارض وهذه هي الزلزلة .

ومن هذا الارتجاج تزيد مياه البحار وتخرج بعض عيون جديدة وانهر حديثة وتغور بعضها لانه بنفور هذه الابخرة تتفسخ بعض صخور واراضي فتجد المياه السايلة الطبع منفذًا فتخرج حالًا فتظهر انها جديدة وربما تكون من تلك المياه الغايرة اما اذا كانت مالحة في مكان وظهرت عذبة في المكان النافذة اليه حديثًا فهذا التغيير صادر من مرور تلك المياه وباراضي جيدة غير مالحة. وبالعكس ايضًا اي اذا كانت تلك المياه حلوة وظهرت مالحة فيكون تغيير طعمها باكتساب اعراض جديدة من اراضي مالحة غيرت نوع عذوبتها فلا عجب اذًا من حدوث امور كهذا بسبب الزلزلة (×) شي طبيعي ممكن حدوثه وصار سابقًا .

امـا ان كان احد يعلم ان الزلزلة تستديم او تقتصر ام تحدث ليلًا او نهارًا فهذا علمه عند الباري تعالى ولكن يفهم بالتقريب والاستقرا على ما لحظ بعض من المدققين مثلًا اذا كان مطر تلك الشتوية غزير وحر الصيف التالي لذلك الشتا شديد وحدث انتقالات وتغيرات فلكية قريبًا قدوم مدة يعلمها

الله وحده . واما اذا حدثت ليلًا او نهارًا فعلى استقرائنا ان حدوث الزلزلة يكون ليلًا بسبب خمود حرارة الشمس نهارًا في قلب الارض فبالليل برد سطح الارض قليلًا تبعاً للفصل الكائن فتطلب الابخرة النفور وكذلك حدوثها في اوايل القمر اكثر استمدادًا من حيث مقارنة الشمس بالقمر بما ان نوره مستفاد منها وميلاده اي القمر هو اكتساب نوره من الشمس كل هلة شهر على نوع جديد نظرًا للباحثين .

فبقي لنا ايضاح تكوين هذه الابخرة في الارض وكيفية غلاياتها وحركة صعودها واتصافها المسمى زلزالًا واهتزازًا فعلى ما شرح القوم اصحاب العلم الكامل المكتفى بصناعة الكيميا فقالوا ان الارض ام للمعادن وقد كوّن الباري تعالى بهذه الارض الزيبق والكبريت المعروف عندهم بالقرين والقرينة وامهم فهي الارض . فالعلة الثانية الطبيعية لخروج هذه المعادن هي عمل الكواكب السيارة وقوة تأثير فعلها . فزحل الكوكب الاعلى يعمل الرصاص والمريخ الحديد والمشتري القصدير والشمس الذهب وعطارد الزيبق والزهرة النحاس والقمر الفضة . ولهذه الكواكب المذكورة تأثيرات تخص المعادن الجوهرية . غير انه لا بد من منافذ ممتدة بالارض لسيلان جوهر الزيبق والكبريت ليخرج منها المعدن الذي غيصه فلم تزل هذه الابخرة موجودة دايماً في قلب الارض وهي طبيعية لها ومن هنا تختلط مع هذه الابخرة ابخرة ايضاً بارودية تختص باراضي واصقاع كما ان الابخرة الكبريتية ايضاً توجد باصقاع انوف مما توجد في غيرها لا سيما في النواحي القبلية لان الشمس تحتكمها بدورها بالسلة تسعة ايام عن النواحي الشمالية الاكثر برودةً فمن وجود هذه الابخرة وانطباقها بحرارة شمس الصيف فتطلب الصعود فلا تقوى لاجل التلزز ففي فصل الخريف واوايل الشتا تتلاحك هذه الابخرة مع بعضها وتطلب لها مصعدًا فاذ تكون الارض متاهبة بالتخلخل فتصعد حالًا هذه البخار بمقدار ما يكون البخر الكبريتي كثيرًا والارض اشد صلابة فتكون الرجة قوية وتخرب امكنة

متينة التي لا يستطيع على هدمها ملوك الارض وهذه هي الزلزلة .

وبمقدار ما يكون البخار الكبريتي متكاثر في ذلك الفصل الخريفي بقدر ذلك يحدث صواعق في الشتا الذي يتلوه لان هذه الابخرة الكبريتية بصعودها اما بزلزال الارض او بدونه تصعد وتتكون بالسحاب فياتيها الريح من كل جهة ويزدحما فتتلاحك الغيوم مع بعضها وتهتز تلك الابخرة الكبريتية من عنيف الارياح المتضادة وتحذف بها الي الارض بضوضا عظيم اينما كان الريح متوجهاً فان كان شمالياً تقع في الناحية القبلية وان كان شرقياً تسقط بالمواطن الغربية وبعكس ذلك فتدعي صاعقة ويبصر نورها كالبرق قبل بروز صوتها كما يشاهد في اشعال المدافع وغيرها .

ثم انه تكون الزلازل من يبس الارض وعدم المطر وبالعكس ايضاً فبالاول تكون من رطوبة الفصل وتلزز سطح الارض كما اذا انوضح في مكان بارود وشعل فيها يكون ذلك المكان قوياً فبخار البارود يهدمه وبالتالي يصير الزلزال من تخلخل الاراضي لوفور الامطار بالخريف واويل الشتا فتجد لها الابخرة منفذاً ولكن يكون خروجها لطيفاً غير انه طبيعياً اذا كانت بعض اراضي رملية متخلخلة ذات رخاوة لها بعض مغاير فلو نفذ منها تلك الابخرة عينها فلا يكون ارتجاجها مهيل مفزع ولا يخرب فيها اماكن الا مما يقل جداً .

فقد تحصل اذاً اولاً ان علة العلل الواحد الاحد المهيمن الصمد عنده ومنه يصدر كل شي طبيعي وغير طبيعي نظراً الي فائدة خليقه وتاديبهم . ثانياً انه يوجد علل طبيعية للكاينات تطلب كمال فعلها . فعلي البشر ان يسلموا عنان تدبير سياستهم لله تعالى وان يهربوا من الخطر ليلا يبادوا فيه ويباشروا افعال التوبة الحقانية مثل الصوم والصلوة والزكاة والحلم والرحمة والطهارة والشفقة وترك الربا والظلم والفشوش والتعظم ثم الرجوع عن كل فعل منكر يغيظ الباري جلت عظمته لانه هو القايل في الزبور وهو اعز القايلين ان لي

الانتقام وانا اجازي كل امرئ نظير اعماله ان خيرًا فخيرًا وان شرًّا فشرًّا . دفع عن عبيده ما كان اعظم ونحمده على ما انعم له الحمد والسبح والقوة الى اباد الدهور امين .

قد صنفت باقتراح احد الاراخنة ليرسلها لمفتي دمشق الشام باسرع وقت من اغابيوس باسم قس احد رهبان مار يوحنا القانوني .

ننشر في ما يلي نبذة تصوّر لنا زلزال سنة ١٧٥٩ ، وقد سمح لنا حضرة الاب المحترم الذي نشرها في «الرسالة المخلصية» ، ١٩٥٧ (٢٤) ص ٢٨٦-٢٨٧ ان ننقلها الى قرّائنا الكرام على صفحات مجلة المشرق . وهذه النبذة ليست الّا جزءا من رسالة وجهها المطران باسيليوس جلخاق ، اسقف صيدا ، الى ابنه الروحي القس اثناسيوس دباس وكيل الرهبنة المخلصية في روما ، وهي محفوظة بين مخطوطات دير المخلّص . قال اسقف صيدا :

نخبركم انه في اليوم ١٩ من شهر تشرين الاول قبل الشمس بساعتين ونصف حدثت زلزلة عظيمة استقامت دقيقتين وهدمت بيوتًا كثيرة وقتل منها خلق كثير في بلادنا وبلاد بشارة وصفد المدينة . واخذت تتبعها زلازل صغيرة حتى تقطعت قلوب الناس من الخوف وهرب الناس من المدن والقرى ونصبوا لهم اكواخًا خارج القرى . وبعدها في اليوم ١٤ تشرين الثاني بعد ثالث ساعات من غياب الشمس حدثت زلزلة اخرى كبرى استقامت اربع دقايق وانكبت على هدم العمارات . وما كنت تسمع الّا صراخ وولولة وغبار خارج من الارض لاجل نشوفتها وهدمت كنايسًا رجواميًا وسرايات وبيوت وما بقي الّا ما قل . ومدينة صفد قد مات فيها من اليهود والمسلمين نيف عن الفين وما بقي من اليهود الّا ستة عشر نفسًا وهربوا الى صيدا وعكا . اما بلاد صفد فلم يتأذى منها احد . واما ابرشيتنا فمات من رعيتنا ولدين ورجل بقيتوله والبقية منها موارنة الجملة اربعة عشر نفسًا . وكل الدروز لم يمت منهم مقدار ستة اشخاص . وبجاصبيا مات كثيرون ونزلت على قرية بيت جن نارًا هدمت بيوتها واحرقت كثيرين . وفي بلاد المتاولة قرايا كثيرة هدمت ومات خلق كثير وقرية تدعى كفرحتا كلها متاولة وهدمت وقتل بها مقدار خمسة وخمسين متاولة وكان بها عيلة نصارى

سلمت . وغيرها كثيرون ولم يكن اكثر الموت الا بالمناولة وصيدا قتل بها مقدار خمسة انفار واقلّ . وجبيل والراس قتل بهم كثيرون وهدمت قلعتها ووقع عامود الراهب القديم الزمان . والشام قتل بها من النصارى مقدار ثمانين حسب مكتوب المطران نقولا مكحل ومن المسلمين كثير عدا الهدم المريع للبيوت والجوامع والقياسر واما من كاثوليكيتها ثلثة فقط امرأتين وشاب . ودير القمر قتل بنت وعطلت كل سراياها . والمختاره عدمت سراية الشيخ وغيرها وانفسخ الجبل الذي فوقها والمعاصر غارتْ عينها فقط . ودير السيدة الجديد انفسخ وعدم والنيق تشقق ودير المخلص فسخت زاوية الكنيسة الشرقية قليلًا ودار البطرك انفسخ زاويتها الشمالية قليلًا . وجون انفسخت كنيستها قليلًا وبرته هدم جانب من كنيستها وكذلك زادت فسوخات كنيسة ماري ايلياس بدير القمر وغريفا كثير بلاد كروان لم يجري بها تفسيخًا . وبارض قانا قد تزلت بردة واحدة مقدار جرة صغوا منها ابريقين ماء ولم تزل الزلازل لكن خفيفة لا نعلم النهاية ما تكون . الرب ينظر والبركة عليكم ثانيًا وثالثًا .

قام كانون اول ١٧٥٩